الدرس الرابع و الأربعون

تفسير سورة المرسلات: [١ : ١٣]

سورة المرسلات سميت بهذا الاسم لورود هذه اللفظة في مطلعها، وهي سورة مكية باتفاق، سوى أن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن قول الله تعالى في آخرها (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لا يَرْكَعُونَ) مدنية. والأمر بالصلاة قد وجد في سورٍ مكيّة كثيرة.

مقاصد السورة:

(وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا (١) فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا (٢) وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا (٣) فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا (٤) فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا (٥)) هذه خمسة أقسام على نسق، وجواب القسم (إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ (٧)). ولله سبحانه وتعالى أن يقسم بما شاء من مخلوقاته، وليس لأحدٍ أن يقسم إلا بالله تعالى، (مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِّ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ)[1]؛ ذلك أن القَسَم: هو تأكيد الأمر بذكر معظّم، فلا يجوز أن يكون التعظيم المطلق إلا لله عز وجل، فلا يُحلف بغير الله؛ ولهذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يُحلَفَ بالكعبة، أو بالأمانة، أو أن نحلف بآبائنا "من كان حالفا فليحلف بالله".

(١)أخرجه أحمد رقم (٥٥٩٤)، وأبو داود رقم (٣٢٥١)، والترمذي رقم (١٥٣٥)، واللفظ له.

هذه المادة لم تراجع على الشيخ حفظه الله

{وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا (١) فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا (٢) وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا (٣) فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا (٤) فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا (٥) عُذْرًا أَوْ نُذْرًا (٦) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ (٧) فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ (٨) وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ (٩) وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ (١٠) وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ (١١) لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ (١٢) لِيَوْمِ الْفَصْلِ (١٣)}

قال تعالى: (وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا (١))

قيل في المرسلات أقوال متعددة، فقيل: إن المرسلات هي الرياح؛ ذلك أن الله تعالى يرسلها بشرى بين يدي رحمته. وقيل: إن هي الملائكة، يرسلها الله سبحانه وتعالى بأمره ووحيه. وقيل الرسل الذين بعثهم الله تعالى فقال عن جماعاتهم مرسلات. وقيل غير ذلك ، والأقربُ والله أعلم أنها الرياح؛ ذلك أن الله سبحانه وتعالى إذا ذكر الرياح في كتابه قرن بها الإرسال، ووقع ذلك في سبعة مواضع في القرآن العظيم من ذلك:

(اللهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ) [الروم :٤٨]، (وَاللهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ) [فاطر :٩]، (وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ) [الأعراف :٥٧]، فهذا يعزز أن يكون المراد بالمرسلات هي الرياح وهو اختيار أكثر المفسرين.

ومعنى (عُرْفًا) على القول بأن المرسلات هي الرياح أي متتابعة كعُرف الخيل، وذلك أن عُرف الخيل يكون على نسق متتابع بعضه يتلو بعضا، فهكذا الرياح حينما يرسلها

هذه المادة لم تراجع على الشيخ حفظه الله

الله تعالى متتابعة، ولا ريب أن الرياح من أعظم آيات الله تعالى ولهذا ذكرها الله سبحانه وتعالى في عشرة مواضع في القرآن الكريم بهذا الاسم الصريح وهي من دلائل ربوبيته سبحانه، والمشتغلون بالمناخ وعلم الهيئة يدركون حركة الرياح وتوزيعها وأثرها في نقل السحب التي ينشئها الله تعالى قال تعالى: {اللهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} [الروم: ٤٨].

ومن قال أن المرسلات هي الملائكة فسر (عُرْفًا) بأنها تُرسل بالعُرف أي المعروف، وهو الحق الذي ينزله الله تعالى على أنبيائه ورسله.

(فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا (٢)) العاصفات: هي أيضاً الرياح، وهذا يؤيد ما تقدّم، وهي الرياح التي تهب هبوبًا شديدا. وقيل هي الملائكة يأمرها الله تعالى أن تعصف بمن شاء. والأقرب أنها الرياح التي تعصف وتهُب بشدة.

(وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا (٣)) قيل: إن الناشرات هي الملائكة تنشر كتب الأعمال يوم القيامة قال تعالى: {وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا} [الإسراء: ١٣] أي مفتوحا. وقيل: هي الرياح لأنها تنشر السحاب وتنقله من موضع إلى موضع وتفرقه في السماء. وهذا هو الأقرب والأليق لما تقدم من الآيات. وقيل: الأمطار إذا المطر ينشر الأرض الميتة، أي يحييها.

هذه المادة لم تراجع على الشيخ حفظه الله

ثم قال سبحانه وتعالى: (فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا (٤))، قيل: هي الملائكة إذ أنها تنزل بأمر الله تعالى فتفرق بين الحق والباطل. وقيل: إنها آي القرآن تفرق بين الحلال والحرام والحق والباطل. وقيل: هي الرياح لأنها تفرّق السحاب.

ثم قال الله سبحانه وتعالى: (فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا (٥)) و الملقيات: الأقرب أن تكون الملائكة؛ إذ الملائكة هي التي تنزل بالوحي فتلقيه على أنبياء الله. وقيل: إن الملقيات هي الرسل نفسها إذ أنها تتلقى الوحي من الله سبحانه وتعالى وتلقيه على عباد الله تعالى.

ونجد أيضًا في كتاب الله تعالى أمثال هذه الأقسام فبعضها يتعلق بالملائكة، وبعضها يتعلق بالرياح، فقوله: {وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (١) وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (٢) وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا (٣) فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا} [النازعات: ١ - ٤]، فهذه طوائف من الملائكة الكرام، وقوله: {وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا (١) فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا} [الذاريات: ١، ٢]، فهذه تتعلق بالرياح التي يرسلها الله سبحانه وتعالى.

هذه المادة لم تراجع على الشيخ حفظه الله

(عُذْرًا أَوْ نُذْرًا (٦)) إما أن تكون هذه الجملة حالًا، وإما أن تكون مفعولًا لأجله، وقد قُرئت على أكثر من وجه منها (عُذْرًا أو نُذْرًا) بالتسكين، وبالضم (عُذُرًا أو نُذُرًا)، ومعناها: أن سبب إلقاء هذا الذكر للإعذار وإقامة الحجة والإنذار الذي هو الخبر المخُوف؛ فملائكة الرحمن التي تنزل بوحيه تُقِيم الحجة على الناس، وتقطع أعذارهم، وتنذرهم مما هم مقبلون عليه، ورسل الرحمن الذين يتلقون وحيه ويدعون العباد إليه كذلك، فلهذا قال الله تعالى: {رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ}(١٦٥))سورة النساء.

ثم يجيء جواب القسم بعد هذه السلسلة من الأقسام العظيمة بقوله: (إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ (٧))

إنما: أداة حصر، كأنما الغاية القصوى من هذا التأكيد والقطع والحزم هو إثبات هذه الحقيقة التي تنازعون فيها وهي البعث بعد الموت والمعاد، وهذا أهم مقاصد السورة وهو إثبات المعاد.

وكذا قال الله تعالى {إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ (٥) وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ } [الذاريات: ٥، ٦]، فدل على أن المقصود بالقطع بالوقوع هو ما أنكروه، وهو المعاد الذي كان مستبعدًا بالنسبة لهم، حتى إن أن أُبيَّ بن خلف، أتى رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم

هذه المادة لم تراجع على الشيخ حفظه الله

بعظم حائل، ففتَّه، ثم ذراه في الريح، ثم قال: يا محمد من يحيي هذا وهو رميم؟ قال: "والله يحييه، ثم يميته، ثم يُدخلك النار[٢]

(فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ (٨)) هذا تفسير وبيان لهذا الأمر الواقع الذي أقسم الله تعالى على وقوعه بهذه الأقسام الخمسة. والنجوم معروفة، وهي هذه الأجرام السماوية التي تتلألأ في ظلمة الليل، فإذا كان يوم القيامة سُلبت ضوؤها وذهب نورها.

(وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ (٩)): أي شُقت.

ومنه قوله تعالى: {إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ } [الانفطار: ١]، وقوله: {إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ} [الانشقاق: ١] وقوله: {وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ}[الحاقة :١٦]، فأخبر الله تعالى بأنها واهية، فهذه السماء المحكمة المتقنة التي قال الله عنها: {الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ} [الملك: ٣] تتشقق يوم القيامة كما قال تعالى: {وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ} [الفرقان: ٢٥].

ثم قال الله تعالى: (وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ (١٠)) هذه الجبال الصلبة، الصلدة، الراسخة، الشاهقة، إذا كان يوم القيامة ذهب بها سريعا.

---

(٢)تفسير الطبري: (٢٠/ ٥٥٤).

هذه المادة لم تراجع على الشيخ حفظه الله

كما قال تعالى: {وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ} [النمل: ٨٨]، فهذه الجبال التي هي من أعظم مخلوقات الله، ويقرنها الله تعالى بالسماوات والأرض حتى إنها لتكاد أن تكون بمنزلتها {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ} [الأحزاب: ٧٢] تصبح يوم القيامة هباءًا منثورا، قاعًا صفصفا.

ثم قال تعالى: (وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ (١١)) قرئت (أُقّتت) بالهمز، وقرئت بالواو (وُقّتت) وقرئت بالتخفيف وقرئت بالتشديد، والمعنى واحد، يعني: ضُرب لهم ميقات مؤجل، كما دل عليه قوله بعدها: (لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ (١٢)) وإنما نصّ على الرسل خاصة لأنهم هم الشهود على أممهم، {وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا} [النساء: ٤١]، فكل رسول يشهد على أمته.

فهذه صور من أحداثِ يوم القيامة نبّه الله سبحانه وتعالى عليها بهذه الجمل الواقعة بعد جواب القسم لكي تكون كالتفسير له، وربُّنا سبحانه وبحمده كثيراً ما يذكر صور القيامة ومشاهدها في القرآن العظيم بطريقة مثيرةٍ عجيبة، يسرح الخيال في تصورها والتفكر في معانيها، وأنَّ له أن يدرك التفاصيل والكيفيات، لكنه يملك

المعنى المعهود في الأذهان، فيطلق العنان في تصور أبعاده حتى تحصل له بذلك الموعظة والذكرى.

فهي مقدمة حافلة، لتعظيم ذلك اليوم (لِيَوْمِ الْفَصْلِ) وهو: اسم من أسماء يوم القيامة، وقد أسلفنا القول أن أسماء القيامة أسماءٌ وأعلام، كما نقول في أسماء ربّنا عز وجل، وأسماء نبيه صلى الله عليه وسلم، وأسماء القرآن، فكل ما سمّاه الله تعالى فهو اسم ووصف؛ ذلك أنه يكون عَلَمًا على ذلك المعيّن ويحمل وصفًا مستقلًا له.

وليوم القيامة أسماء متعددة بلغ بها بعض العلماء أربعين اسما، بل وصل بها بعضهم إلى ثمانين، وفي القرآن العظيم أسماء عدة من أسماء يوم القيامة: الآزفة، الصاخة، الطامة، القارعة، يوم الدين، ويوم التغابن، وههنا يوم الفصل. وسمي بذلك لأنه ظرف زمان يفصل فيه بين العباد؛ فريق في الجنة وفريق في السعير، ويفصل في أعمالهم ومراتبهم ومنازلهم.

هذه المادة لم تراجع على الشيخ حفظه الله